

روح المعاني

أى المشركين وقد ورد بهذا المعنى فى مواضع من القرآن وخصوصا به لتضاعف كفرهم وهو عطف على الموصول الأول وعليه لاتصريح باستهزائهم هنا وان أثبت لهم فى آية إنا كفيناك المستهزين إذ المراد بهم مشركو العرب ولا يكون النهى حينئذ بالنظر اليهم معللا بالاستهزاء بل نهوا عن موالاتهم ابتداءا وقرأ الكسائى وأهل البصرة والكفار بالجر عطفًا على الموصول الأخير ويعضد ذلك قراءة أبى ومن الكفار وقراءة عبد الله ومن الذين أشركوا فهم أيضا من جملة المستهزين صريحا وقوله تعالى : أولياء مفعول ثان لاتتخذوا والمراد جانبهم كل المجانية وأتقوا الله فى ذلك بترك موالاتهم أو بترك المناهى على الإطلاق فيدخل فيه ترك موالاتهم دخولا أوليا إن كنتم مؤمنين .

57 .

- حقا فان قضية الإيمان توجب الاتقاء لامحالة واذا ناديتم أى دعا بعضكم بعضا إلى الصلاة اتخذوها أى الصلاة أو المناداة إليها هزوا ولعبا أخرج البيهقي فى الدلائل من طريق الكلبي عن أبى صالح عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال : كان منادى رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا نادى بالصلاة فقام المسلمون إليها قالت اليهود : قد قاموا لاقاموا فاذا رأوهم ركعا وسجدا استزأوا بهم وضحكوا منهم واخرج ابن جرير وغيره عن السدى قال : كان رجل من النصارى بالمدينة إذا سمع المنادى ينادى أشهد أن محمدا رسول الله قال : حرق الكاذب فدخلت خادمه ذات ليلة بنار وهو نائم وأهله نيام فسقطت شرارة فأحرقت البيت وأحرق هو وأهله والكلام مسوق لبيان استهزائهم بحكم خاص من أحكام الدين بعد بيان استهزائهم بالدين على الإطلاق اظهارا لكمال شقاوتهم ذلك أى الاتخاذ المذكور بأنهم أى بسبب أنهم قوم لايعقلون .

58 .

- فان السفه يؤدى إلى الجهل بمحاسن الحق والهزاء به ولو كان لهم عقل فى الجملة لما اجتروا على تلك العظيمة قيل : وفى الآية دليل على ثبوت الأذان بنص الكتاب لا بالمنام وحده واعتراض بأن قوله سبحانه : وإذا ناديتم لايدل على الأذان اللهم إلا أن يقال : حيث ورد بعد ثبوته كان إشارة إليه فيكون تقريراً له قال فى الكشف : أقول فيه : إن اتخاذ المناداة هزوا منكر من المناكير أنها من من معروفة الشرع فمن هذه الحيثية دل على أن المناداة التى كانوا عليها حق مشروع منه تعالى وهو المراد بثبوته بالنص بعد أن ثبت ابتداءا بالسنة ومنام عبد الله بن زيد الأنصارى الحديث بطوله ولاينافيه أن ذلك كان أول ما قدموا المدينة والمائدة من آخر القرآن نزولا وقوله : لا بالمنام وحده ليس فيه ما يدل

على أن السنة غير مستقلة فى الدلالة لأن الأدلة الشرعية معارف وأمارات لامؤثرات وموجبات وترادف المعارف لا ينكر انتهى ولأبى حيان فى هذا المقام كلام لا ينبغي أن يلتفت اليه لما فيه من المكابرة الظاهرة وسمى الأذان مناداة لقول المؤذن فيه : حى على الصلاة حى على الفلاح قل يا أهل الكتاب أمر لرسول الله صلى الله عليه وسلم بطريق تلوين الخطاب بعد نهى المؤمنين عن قول المستهزئين بأن يخاطبهم ويبين إن الدين منزله عما يصح صدور ما صدر منهم من الاستهزاء ويظهر لهم وسبب ما ارتكبه ويلقمهم الحجر ووصفوا بأهابة الكتاب تمهيدا لما سيذكر سبحانه من تبييتهم وإلزامهم بكفرهم بكتابهم أى قل يا محمد لأولئك الفجرة هل تنقمون منا أى هل تنكرون وتعييرون منا وهو من نقم منه كذا إذا أنكره وكرهه من حد ضرب وقرأ الحسن تنقمون